



## فهد العسكر والنفي الذاتي

يؤكد علماء النفس أن الغربة ألوان مختلفة.. فهناك الغربة عن الوطن بالجسد والروح.. وهناك الغربة الذاتية.. وهى تمثل النفي الاختياري والعزلة احتجاجاً أو يأساً أو تمرداً.. وهناك الغربة بالروح فقط.. والغربة بالجسد فقط.. وهكذا.

وشاعرنا الآن حاول أن يغير مجتمعه.. وحاول أن يسقط بعض التقاليد التي تحمل التخلف.. لكنه ووجه بقسوة بمن يتهمه بالخروج والمروق.. ولم يجد مخرجاً سوى الاعتزال راضياً بأن يكون صاحب قلم وموقف بين جدران بيته.. كما فعل من قبل جده أبو العلاء حين اعتزل الناس.. وفضل أن يكون حبيس بيته وعماه.

لقد ولد فهد العسكر عام 1917 في أسرة كويتية متدينة بسيطة.. حيث كان والده إماماً لأحد المساجد وكان أيضاً يعلم القرآن للصبية. ولم يكن فهد بعيداً عن هذا المناخ الديني في طفولته.. فقد كان يذهب في صحبة والده إلى المسجد ليؤدي الصلاة ويقرأ القرآن. وبدأ الفتى يعشق الشعر والأدب والسير الشعبية.. وبدأ يكتب الشعر والأنشيد.

ونظر فهد إلى المجتمع من حوله فقرر التمرد على واقع هذا المجتمع ومحاولة إسقاط القيم المتخلفة والفاسدة.

ومن ثم قرر فهد العسكر إعلان ثورته على تقاليد المجتمع ووضع المرأة والعادات الموروثة المتخلفة.. وأن يعبر عن هذا كله بالشعر.. وهنا تبدأ

معاناة الشاعر.. حيث وجد المقاومة العنيفة من المتزمتين والمحافظين على قيم هذا التخلف.

وكان التشبيب بالمرأة من الأمور المحظورة في المجتمع.. لكنه أصر أن يبدأ بهذا الغزل الذى يعطى المرأة وضعها وقدرها أمام الرجل.  
ويبدأ فهد قوله هكذا:

ليلى تعالى زودينى

قبل المات وودعيني

ليلاى لا تمنعنى

رحماك بى لا تحذلينى

ليلى تعالى واسمعى

وحى الضمير وحدثينى

ودعى العتاب إذا التقينا

أهواك فى رفق ولين

ويثور فى وجهه رجال الدين ويتهمونه بالخروج على التقاليد والأخلاق والقيم بل بالمروق والزندقة.. وتصل هذه التهم فيما بعد إلى الكفر والإلحاد.. ويكاد يقام عليه الحد.

ترى ماذا يفعل الشاعر أمام هذه القوى المحاصرة؟..

إنه لا يستطيع أن يتوقف عن إبداع الشعر..

ولا يمكنه أن يتوقف عن التعبير عن مشاعره..

ويقول عنه الأديب عبد الله زكريا الأنصاري:



(وجد نفسه منبوذاً من أهله الذين لا يؤمنون بما يؤمن به من مبادئ لا تتناسب وطبيعتهم.. ومن الناس الذين ينفرون من هذه الآراء المتطرفة التي يرددونها على ألسانهم بل ويتغنى بها في أشعاره.. وكلما أمعن في التحرر والانطلاق وجد نفسه بعيداً عن مجتمعه.. الأمر الذى زاد من حساسيته.. وضاعف من إرهاف شعوره)

ويصرخ فهد العسكر قائلاً:

فأنا شاعر خلقت لأشقى

لا لألقى سعادة وفلاحاً

خار عزمى مذ صارعتنى الليالى

ثم ألقىت رغم أنفى السلاحاً

وكان فهد قد قرر إلقاء السلاح.. لأنه وجد أن نضاله من أجل التغيير والإصلاح بدون جدوى.

لكنه ألقى سلاحه بطريقة الخاصة.

لقد ألقاه خارج بيته.. لكنه قرر نفي ذاته ونفسه داخل جدران هذا البيت.. يتذكر ويكتب أشعاره.. ويحرقها أحياناً إذا أراد.. أي أنه هياً لنفسه مناخاً (مغلقاً) من الحرية الخاصة وإن كان هذا نفيًا اختياريًا.. لكنه بدأ يشعر باستقلال ذاته وبعده عن متاهات الجهل والتخلف.

وتضاعف محنته.. حينها كف بصره في سنواته الأخيرة.. فأمعن في الهروب من الناس.. ليظل مثل أبى العلاء رهين المحبسین: العزلة والعمى. وفي هذا المنفى الخاص عاش على الذكريات والشكوى.. ترى لمن يشكو.. ولمن يتحدث.

إنه تارة يتذكر أمه فيحدثها من وراء الغيب قائلاً:

أماه قد غلب الأسى      كفى الملام وعلليني  
الله يا أماه فى      ترفقى لا تعذلىنى  
أرهقت روحى بالعتا      ب فأمسكيه أو ذرىنى  
أنا شاعر أنا بئس      أنا مستهام فاعذرىنى

ومرة أخرى يشكو إلى وطنه شعبه وقومه فيقول:

وطنى وما ساءت بغير      بنيك يا وطنى ظنونى  
أنا لم أجد فيهم خدينا      آه .. من لى بالخدين  
واضيعة الأمل الشريد      وخيبة القلب الحنون  
رقصوا على نوحى وإعو      الى وأطربهم أنينى  
وتحاملوا ظلماً وعدوا      نأعلى وأرهقونى  
فعرفتهم ونبذتهم      لكنهم لم يعرفونى

ومرة ثالثة يشكو إلى الليل فيقول:

يا ليل ضاقت بشكواى الصدور وما  
ضاقت بغلّ وأحقاد وأضغان  
فجئتُ أشكو إليك المرجفين وهم  
لا درّ درّهم أسباب خذلانى



يا ليل والنفس غرثى وهى حائرة

فهل بنجمك من زاد لغرثان

وقد يتصور أحد أن الشاعر بعيد عن وطنه.. لكنه كان دائم الإحساس به  
محبا له.. يستثير الهمم كى يهب الناس من رقادهم.. وهو هنا لم يكن وطنه  
الكويت فحسب ولكنه كان الوطن العربى كله.. ويعبر عن ذلك بقوله:

أبناء يعرب والكوارث جمة

هيا انبذوا الأحقاد والأضغانا

وتآلفوا وتكاتفوا وتساندوا

متراصفين.. وحرروا الأوطانا

ومرة أخرى يقول:

يا بنى العرب إنما الضعف عار

أى وربى سلوا الشعوب القوية

كم ضعيف بكى ونادى فراحت

لبكاه.. تهقته المدفعية

لغة النار والحديد هى الفصد

حى وحظ الضعيف منها المنية

وبالرغم من ذلك كله.. لم يتركه أهله ولا شعبه يعبر عما يريد بحرية  
لكنهم كانوا له بالمرصاد.. وصار الأمر عداً بينه وبين مجتمعه.. بحيث  
رفض كل طرف الطرف الأخر..

ونجده يعبر عن هذه الحالة القاسية في قوله:

ماذا وراء الضغط إذ يشتدّ .. غير الانفجارِ  
والله لو يشفى انتقا مى غلتى لأخذت ثارى  
لصقوا المثالب لى وكل مثالبى عدم التجارى  
أسفا على عمر تقضى بين أطفال كبار  
بين المنافق والمخادع والمداجى والمدارى  
متدئبون .. ولو ثغت شاةً .. للاذوا بالفرار

ويقبل أهله عاتيين ومهددين.. بل وصل بهم الأمر أن أحرقوا أشعاره  
بين يديه.. ليحترق قلب الشاعر بالسنّة النيران المشتعلة..

ويشعر الشاعر بأن الحياة صارت بلا جدوى..

لقد كرهه وحقد عليه الحاقدون.. وظلمه أهله وانتقموا منه.. فلا يجد  
مفراً من رثاء نفسه:

احفروا لى قبراً على شاطئ البحر

رسميرى فى وحدتى ومقيلى

لم تطب لى دنيا الشقاء فوالهـ

فى وشوقى للعالم المجهول

ويلبى القدر أمنيته المريرة فى عام 1951 بعد أن غرق فى بحر اليأس  
والحزن والأسى.